من أخبار المسافرين (٢٢)

مسافرة تبحث عن زوجها

هذه أم حكيم بنت الحارث المخزومية، مجاهدة جليلة شهدت أُحداً مع زوجها عكرمة بن أبي جهل قبل أن تسلم ثم أسلمت يوم الفتح واستأمنت لزوجها عكرمة. فأمنه رسول الله ﷺ، فخرجت في طلبه وقد هرب إلى اليمن فأدركته في ساحل من سواحل تهامة وقد ركب البحر فجعلت تصيح إليه وتقول: يابن عمّ جئتك من أوصل الناس وأَبَرِّ الناس وخير الناس، لا تهلك نفسك وقد استأمنتُ لك منه فآمنك. فقال: أنتِ فعلتِ ذلك؟ قالت: نعم أنا كلمته فآمنك. فرجع معها فقدم عكرمة فانتهى إلى باب رسول الله ﷺ وزوجته معه فسبقته فاستأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت. فأخبر عمر رسول الله ﷺ بقدوم عكرمة فأسلم.

وشهدت أُم حكيم وقعة اليرموك، وأبلت فيها بلاءً حسناً. فقاتلت فيها أشد القتال وفي وقعة مرج الصُّفَّر خرجت بعمود فقتلت سبعة من الروم.

مرج الصُّفَّر: موقع بنواحي دمشق.

فانظر أخي المسافر إلى هذا الخلق النبوي الرائع كيف يستجيب الرسول ﷺ لهذه المرأة ويؤمِّن زوجها وهو ابن أكبر عدوٍّ لله ورسوله، ولكنه نبيُّ الرحمة والرفق والعفو والهداية ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾.

ثم انظر إلى المرأة الوفية التي ذاقت حلاوة الإسلام وعرفت روعة الإيمان فخرجت هائمة على وجهها وفاءً لزوجها وحباً له ورغبة في إنقاذه من الكفر والضلال ودعوته إلى دين الرحمة، فمنَّ الله عليها فعادت سالمة غانمة.

استراحة المسافر (٧)

* سقط أعرابي من بعيرٍ فانكسرت ضلعٌ من أضلاعه فأتى الجابر يستوصفه فقال له: خذ تمراً جيداً فانزع أقماعه ونواه واعجنه بسمن ثم اضمده عليه، قال: أيْ بأبي أنت من داخل أم خارج؟ قال: من خارج، قال: لا أبا لشانئك هو من داخل أنفع لي، قال: ضعه حيث تعلم أنه أنفع.
* ويروى أن رجلاً رأى في المنام أن له غنماً وكأنه يعطى بها ثمانية، ففتح عينيه فلم ير شيئاً، فغمَّض عينيه ومدَّ يده، وقال: هاتوا أربعة أربعةً.
* أخذ أحدهم «جوزة» وأخذ حجراً لكي يكسرها فضربها بالحجر فانفلتت من يده ووقعت بعيداً فقال: ياسبحان الله حتى البهائم تخاف من الموت
* خطب رجل من بني كلابٍ امرأةً، فقالت له أمُّها: حتى أسأل عنك، فانصرف فسأل عن أكرم الحي عليها، فدُلَّ على شيخ فيهم كان يُحسن المَحْضَر في الأمر يُسأل عنه، فسأله أن يُحسن عليه الثناءَ وانتسبَ له فعرفَه؛ ثم إن العجوز شَمّرت فسألته عنه فقال: أنا ربّيتُه، قالت: كيف لسانُه؟ قال: مِدْرَهُ قومه وخطيبُهم. قالت: كيف شجاعتُه؟ قال: حامِي قومِه وكهفُهم. قالت: فكيف سَماحتُه؟ قال: ثِمالُ قومه وربيعُهم. فأقبل الفتى فقال الشيخُ: ما أحسَنَ والله ما أقبل! ما انثنى ولا انحنى. فدنا الفتى فقال الشيخ: ما أحسنَ والله ما سَلّم! ما جار ولا خار. ثم جلس، فقال: ما أحسن والله ما جَلَس! ما دنا ولا ثَنى. فذهب الفتى ليتحرّك فضرط، فقال الشيخ: ما أحسنَ والله ما ضرط! ما أغنّها ولا أطنّها، ولا بَرْبَرها ولا فَرْفَرها. فنهض الفتى خجِلاً فقال: ما أحسن

والله ما نهض! ما انفتل ولا انخزل. فأسرع الفتى، فقال: ما أحسن والله ما خطا! ما ازْورّ ولا اقْطَوْطى، قالت العجوز: وجِّه إليه من يَرُدّه، لو سَلَح لزوَّجناه.

شمَّرتْ: جدَّت وأسرعت. الثمال بالكسر: الملجأ والغياث والمطعم في الشدة. جأر وخار: رفع صوته. انفتل: التوى، يريد أنه انصرف معتدلاً، وانخزل: مشى في تثاقل. ازورّ: مال وانحرف. واقطوطى: تثاقل في مشيه.

من مآسي المعدّدين:

وهذه قصيدةٌ لي أصور فيها أحوال بعض المعدّدين الذين لهم أكثر من زوجة ـ مع إيماننا أن التعدد أمر شرعه الله تعالى لحكمٍ عظيمة وفوائد جليلة وأنا والله من أسعد الناس بزوجتيّ ـ وهي من باب المزاح والمداعبة لأن هذا الأمر مما يحلو الحديث فيه «والنكت» حوله ومع ذلك فهي تروي حقيقة بعض ما يجري لمن ابتلي بالتعدّد، اللهم حوالينا ولا علينا.

أتاني بالنصائح بعض ناسٍ ... وقالوا أنت مِقدامٌ سِياسي
أترضى أن تعيش وأنت شهمٌ ... مع امرأةٍ تُقاسي ما تقاسي
إذا حاضت فأنت تحيض مَعْها ... وإنْ نفست فأنت أخو النفاس
وتقضي الأربعين بشرِّ حالٍ ... كَدابِ رأسُه هُشِمتْ بِفاس
وإن غَضِبتْ عليك تنام فرداً ... ومحروماً وتمعن في التناسي
تزَوَّج باثنتين ولا تبالي ... فنحن أُولو التجارب والمِراسِ
فقلت لهم معاذ الله إني ... أخاف من اعتلالي وارتكاسي
فهأ نذا بدأت تروق حالي ... ويورق عودُها بعد اليباس

فلن أرضى بمشغلةٍ وهمٍّ ... وأنكادٍ يكون بها انغماسي
ليَ امرأةٌ وشاب الرأس منها ... فكيف أزيد حظي بانتكاسي
فصاحوا سنَّة المختار تنسى ... وتُمحى أين أربابُ الحماسِ؟
فقلتُ أضَعْتُم سُنناً عظاماً ... وبعض الواجبات بلا احتراس
لماذا سنَّةُ التعداد كنتم ... لها تسعون في عزمٍ وباس
وشرع الله في قلبي وروحي ... وسنة سيدي منها اقتباسي
إذا احتاج الفتى لزواج أخرى ... فذاك له بلا أدنى التباسِ
ولكنَّ الزواج له شروطٌ ... وَعَدْلُ الزوج مَشْروطٌ أساسي
وإن مُعَاشر النسوان بحرٌ ... عظيم الموج ليس له مَرَاسي
ويكفي ما حملتُ من المعاصي ... وآثامٍ تنوء بها الرواسي
فقالوا أنت خَوَّافٌ جبانٌ ... فَشَبُّوا النار في قلبي وراسي
فخضت غمار تجربةٍ ضَروسٍ ... بها كان افتتاني وابتئاسي
يحز لهيبها في القلب حزّاً ... أشد عليَّ من حزِّ المواسي
رأيت عجائباً ورأيت أمراً ... غريباً في الوجود بلا قياسِ
وقلتُ أظنُّني عاشرت جنّاً ... وأحسب أنَّني بين الأناسي
لأتفه تافهٍ وأقلِّ أمرٍ ... تبادر حربُهن بالانبجاس
وكم كنتُ الضحية في مرارٍ ... وأجزم بانعدامي وانطماسي
فإحداهن شَدَّتْ شعر رأسي ... وأخراهن تسحب من أساسي
وإن عثر اللسان بذكر هذي ... لهذي شبَّ مثل الالتماس
وتبصرني إذا ما احتجت أمراً ... من الأخرى يكون بالاختلاس
وكم من ليلةٍ أمسي حزيناً ... أنام على السطوح بلا لباسي

وكنتُ أنام مُحترماً عزيزاً ... فصرتُ أنام ما بين البساسِ
أرَضِّعُ نامس الجيران دَمِّي ... وأسقي كلَّ برغوث بكاسي
ويَومٌ أدَّعي أنِّي مريضٌ ... مصابٌ بالزكام وبالعطاس
وإن لم تنفع الأعذار شيئاً ... لجأت إلى التثاؤب والنعاس
وإن فَرَّطْتُ في التحضير يوماً ... عن الوقت المحدد يا تعاسي
وإن لم أرْضِ إحداهنَّ ليلاً ... فيا ويلي ويا سود المآسي
يطير النوم من عيني وأصحو ... لقعقعة النوافذ والكراسي
يجيء الأكل لا ملحٌ عليه ... ولا أُسقىٰ ولا يُكوى لباسي
وإن غلط العيال تعيث حذفاً ... بأحذيةٍ تمرّ بقرب راسي
وتصرخ ما اشتريت لي احتياجي ... وذا الفستان ليس على مقاسي
ولو أني أبوحُ بربع حرفٍ ... سأحذف بالقدور وبالتباسي
ترانـي مثل إنسانٍ جبانٍ ... رأى أسداً يهمُّ بالافتراس
وإن أشْرِي لإحداهن فِجلاً ... بكت هاتيك يا باغي وقاسي
رأيتك حاملاً كيساً عظيماً ... فماذا فيه من ذهبٍ وماس
تقول تُحبُّني وأرى الهدايا ... لغيري تشتريها والمكاسي
وأحلفُ صادقاً فتقول أنتم ... رجالٌ خادعون وشرُّ ناس
فصرت لحالة تدمي وتبكي ... قلوب المخلصين لما أقاسي
وحار الناس في أمري لأني ... إذا سألوا عن اسمي قلت ناسي
وضاع النحو والإعراب مني ... وَلخْبَطتُ الرباعي بالخماسي
وَطَلَّقْتُ البيان مع المعاني ... وَضَيَّعْتُ الطباق مع الجناسِ
أروح لأشتري كتباً فأنسى ... وأشري الزيت أو سلك النحاس

أسير أدورُ من حيٍّ لحيٍّ كأنّي بعض أصحاب التكاسي
ولا أدري عن الأيام شيئاً ولا كيف انتهى العام الدراسي
فيومٌ في مخاصمة ويومٌ نداوي ما اجترحنا أو نواسي
وما نَفَعَتْ سياسة بوش يوماً ولا ما كان من هيلاسي لاسي
ومن حلم ابن قيس أخذتُ حلمي ومكراً من جحا وأبي نواس
فلما أن عجزت وضاق صدري وباءت أمنياتي بالإياس
دعوتُ بعيشة العزّاب أحلى من الأنكاد في ظلِّ المآسي
وجاء الناصحون إليّ أخرى وقالوا نحن أرباب المراسي
ولا تسأم ولا تبقى حزينا فقد جئنا بحلٍّ دبلوماسي
تزَوَّج حرمة أخرى لتحْيا سعيداً سالماً من كل باسِ
فصحت بهم لَئِنْ لم تَتْركوني لأنفلتنَّ ضرباً بالمداسِ

* * *

سفرٌ إلى أعماق النفس

لاشك أن السفر يدعو الإنسان إلى تأمل ملكوت الله تعالى والتعرف على أسرار الجمال والعظمة فيه، وذلك يقوي صلة الإنسان بربه سبحانه وتعالى، ولكن أخي المسافر تعال معي لنسافر بعقولنا وقلوبنا إلى أعماق النفس الإنسانية قبل أن نسافر إلى غيرها لنتأمل عظمة الخالق ونتدبر عجيب صنعه في أنفسنا نحن فذلك هو العجب العجاب ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾.

وتزعم أنك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالم الأكبر

١ـ وزن القلب حوالي ٣١٢ جراماً، حجمه في قبضة اليد، تبلغ ضربات قلب الرجل حوالي ٦٠ـ٨٠/ د وينبض في العام حوالي ٤٠ مليون مرة، وفي كل نبضة يدخل القلب حوالي ربع رطل من الدم ويضخ في يوم واحد ٢٢٠٠ جالون من الدم، وحوالي ٥٦ مليون جالون على مدى حياة بأكملها، ترى هل يستطيع محرك آخر القيام بمثل هذا العمل الشاق لمثل تلك الفترة الطويلة، دون أن يحتاج إلى إصلاح؟

٢ـ ويستطيع القلب إذا استعمل كآلة محركة أن يرفع ثقلاً مقداره رطلان إلى ارتفاع قدمين بنفس الجهد الذي يبذله في نبضة واحدة.

٣ـ ويبلغ مقدار الدم الذي يدفعه قلب رجل صحيح أثناء القيام بتمرينات قاسية حوالي ٢٠ليتر في الدقيقة، ويستغرق مرور دفعة واحدة من الدم خلال القلب حوالي ١,٥ ثانية، والطريق من القلب إلى الرئة ثم إلى القلب مرة أخرى (الدورة الصغرى) ست ثوانٍ.

٤ـ الدم الذاهب إلى الدماغ يعود إلى القلب في ٨ ثوانٍ، بينما يعود الدم الذاهب إلى أصابع القدم في ١٨ ثانية.

٥ـ إذا افترضنا أن القلب لم يضطر إلى زيادة سرعة ضرباته عن الطبيعي فإن الكرية الحمراء تمر في الدورة ١٥٠٠مرة في المتوسط على مدى يوم كامل (حمال يحمل يومياً ١٥٠٠مرة بدون تعب)!!..

٦ـ في الدم ٥ ملايين كرية حمراء في كل ملمتر مكعب واحد من الدم، أي تبلغ في مجموع الدم العام حوالي ٢٥مليون مليون كرية حمراء، وتفرش سطحاً مقداره ٣٤٥٠متر مربع، وإذا صُفَّتْ كريات حُمْر بدنٍ واحد بعضها بجانب بعض، فإن مجموع أقطار الكريات (قطر الكرية الواحدة في المتوسط ٧ مكرون) ينشئ طولاً يغلف الكرة الأرضية ٦ـ٧ مرات، وتعيش الكرية وسطياً ١٢٠يوماً، ويمكن أن ينقص عمر الكرية حتى ٢٠يوماً بدون ظهور دلائل فقر الدم، وتمشي الكرية الحمراء في رحلتها لنقل الأكسجين ١١٥٠كم في عروق البدن، وفي الكرية الواحدة يكمن مركب الخضاب المعقد الذي يحوي ٥٧٤حمضاً آمينياً بالإضافة إلى الشحم والسكاكر والخمائر والفيتامينات... وفي نقص الأكسجين يرتفع عدد الكريات الحمر إلى ٧ـ٨ مليون/ ملم مكعب/ خاصة في الارتفاعات وفي الأجنة باعتبار أن الرئة لا تعمل، مما دعا إلى القول بأن الجنين الإنساني يجلس على قمة إفرست!!..

٧ـ الخلايا الجدارية التي تفرز حمض كلور الماء في المعدة قدر عددها بـ(مليار) خلية، والطاقة الإفرازية في مدى ١٢ ساعة بعد التنبيه بالهستامين ١٦ ملي مكافىء، وتركيز الإفراز هو ما بين ٢ـ٤ بالألف

بشكل ثابت ومركز.

٨ـ يحوي الجسم البشري أكثر من ٦٠٠ عضلة، وأكثر من ٢٠٠ عظم، وتحوي العضلة المتوسطة الحجم على ١٠ ملايين ليف عضلي، وتحوي عظمة الفخذ أكثر من ٣٠ ألف عمود كلسي خاص.

٩ـ في كل يوم يتنفس الإنسان ٢٥ ألف مرة، يسحب فيها ١٨٠ متر مكعب من الهواء يتسرب منها ٦,٥ متر مكعب من الأكسجين إلى الدم.

١٠ـ عمل العضلات مجتمعة في اليوم يساوي ما حمولته ٢٠ طن.

١١ـ في المعدة ٣٥ مليون غدة للإفراز، وفي العفج والصائم (الأمعاء) ٣٦٠٠ زغابة معوية للامتصاص في كل ١سم مربع، وفي الدقاق ٢٥٠٠، مع العلم أن طول الأمعاء حوالي ثمانية أمتار.

١٢ـ في المعثكلة يبلغ عدد جزيرات لانغرهانس ما بين (٢٠٠ ألف) و(مليون و٨٠٠ ألف) وهي من الناحية الذنبية أكثر وتفرز الأنسولين الذي يحرق السكر في البدن، من نوع واحد من الخلايا وهي المعروفة بخلايا بيتا في حين أن هناك أربعة أنواع من الخلايا في المعثكلة (ألفا، بيتا، غاما، دلتا) وفي خلايا الفاتفرز هورمون آخر يعاكس الأنسولين هو الغلوكاكون ويقوم بزيادة السكر في الدم.

١٣ـ الزغابات في المشيمة عند المرأة الحامل تفرش مساحة ١٦٠ قدم مربع، وطول ٣٠ ميل وتعتبر مقراً لإفراز العديد من الهرومونات، وممصات للغذاء، وجهاز تصفية لأي مادة تعبره.

١٤ـ في الدماغ ١٣ مليار خلية عصبية و١٠٠ مليار خلية دبقية استنادية تشكل سداً مارداً لحراسة الخلايا العصبية من التأثر بأية مادة،

والأورام تنمو خاصة على حساب الخلايا الدبقية، وكأن الخلايا العصبية مستعصية على السرطان، يتغذى الدماغ من الغلوكوز كمادة سكرية وفقط بخلاف القلب الذي يتغذى من سكر الغلوكوز أو حمض اللبن، فالسكر هو الحلوى الفاخرة التي يفضلها الدماغ بخلاف بقية أجهزة البدن، وإذا وقع البدن في أزمة فإن الدماغ يبقى العضو النبيل الذي يُفضل على غيره في العطاء.

١٥ـ في العين الواحدة حوالي ١٤٠ مليون مستقبل للضوء وهي ما تسمى بالمخاريط والعصي، يبلغ عدد المخاريط في كل عين ٧ ملايين وعدد العصيات ١٣٠ مليون، مهمة الأولى للضوء المركز والألوان والثانية للضوء الضعيف والعادي، هذه المخاريط والعصي تمثل شبكية الاستقبال في العين، والشبكية هذه هي نصف كرة ترقد في قاع العين، وترى بفضل منظار القمر بشكل جميل للغاية، ويغلف الشبكية كرتان الأولى غزيرة بالتروية الدموية، والثانية طبقة صلبة حامية، ويتحكم في حركات العين ست عضلات، ويشرف على التوازن الدماغ والمخيخ والبصلة السيسائية، ويخرج من العين، وكمحصلة لعمل الشبكية، نصف مليون ليف عصي ينقل الصورة بشكل ملون، بقي أن نقول إن الشبكية هي عشر طبقات وطبقة المخاريط والعصي هي واحدة فقط وفي أعمق مكان.

١٦ـ في عضو كُورْتي الذي يمثل شبكية الأذن وفيه حوالي ٣٠ ألف خلية سمعية لنقل كافة أنواع الأصوات.

١٧ـ في الدم الكامل ٢٥ مليون مليون كرية حمراء لنقل الأكسجين، و٢٥

مليار كرية بيضاء لمقاومة الجراثيم ومناعة البدن وهي بخمسة أشكال، ومليون مليون صفيحة دموية لحفظ الدم ضد النزف وإيجاد التخثر في أي عرق نازف، وتتكون هذه الخلايا بصورة أساسية من مخ العظام الذي يصب في الدم بمعدل ٢,٥ مليون كرية حمراء في الثانية و٥ ملايين صفيحة و١٢٠ ألف كرية بيضاء، وجدير بالذكر أن الكريات الحمر تقوم بنقل ٦٠٠ ليتر من الأكسجين لخلاياالجسم كل ٢٤ ساعة.

١٨ـ في المعثكلة (البانكرياس) قطاع لإفراز الخمائر التي تفرغ إلى الأمعاء الدقيقة حيث يتم هضم أنواع الطعام الثلاثة؛ البروتينات والسكاكر والأدهان، وهناك قطاع ثانٍ متصل بالدم وهو المعروف بجزيرات لانفر هانس التي يبلغ عددها (٢٠٠,٠٠٠ ـ ١,٨٠٠,٠٠٠ جزيرة) فيها أربعة أنواع من الخلايا.

١٩ـ تعتبر الخلايا الدماغية من أنبل الأعضاء لأنها تمثل حكومة البدن العاقلة العالمة المخلصة، وباقي الجسم الشعب المتفاني في الطاعة والولاء، ولذا فإن الدماغ مغلق بثلاثة أغلفة فضلاً عن التصفيح العظمي بحيث يعتبر الرأس كصندوق محكم الإغلاق وبين الأغلفة يتسرب سائل خاص هو السائل الدماغي الشوكي الذي يقوم بفعل ماص للصدمات، وهذا الإتقان المحكم جعل علماء الفضاء يصممون نفس الطريقة لحماية القمرة الصناعية بإيجاد الغلافات والسائل على نفس الطريقة، ونلفت النظر إلى أن الجنين في رحم الأم أيضاً مغلف بثلاثة أغشية خاصة فضلاً عن الغلاف العضلي الرحمي.

٢٠ـ تحت سطح الجلد يوجد حوالي ٥ـ١٥ مليون مكيف لحرارة البدن، والمكيف هنا هو الغدة العرقية لأن تبخر العرق من الجلد يمتص معه نسبة عالية من حرارة البدن، وسطح الجلد الذي يبلغ ١,٨ متر مربع تتفاوت فيه الغدد العرقية قلة وكثرة. والغدة العرقية هي أنبوب متعرج طويل لضخ سائل العرق الذي يمتاز بصفات خاصة، ويبلغ إفرازه اليومي حوالي اللتر، ومجموع أطوال أنابيب الغدد العرقية الموجودة تحت الجلد حوالي ٤ـ٥ كيلومترات.

٢١ـ يقوم اللسان بالمضغ والبلع وذوق الطعام والتصويت، فيه ١٧ عضلة تحركه إلى كافة الجهات وثلاثة أعصاب لتنظيم نقل الحس، وعلى سطح اللسان يوجد ٩٠٠٠ نتوء ذوقي لمعرفة طعم الحلو والحامض والمر والمالح، وإن حركة اللسان في أي اتجاه ينتج حرفاً معيناً، وبذلك يستطيع الإنسان أن ينطق بفصاحة، وأثناء المضغ والبلع تفرز ست غدد بفوهات ست اللعاب إلى الفم لتطرية الطعام وتهيئته المبدئية بالاشتراك مع ٣٦ جهاز قاطع وطاحن وهي الأسنان.

٢٢ـ يعتبر الكبد أكبر غدد البدن إذ يزن ١٥٠٠غرام ويحوي ٣٠٠مليار خلية يمكن أن تتجدد كلياً خلال أربعة أشهر فخلاياه أسرع من خلايا الجنين المعروف بسرعة الانقسام، ووظائف الكبد مدهشة ما بين مستودعات السكر والدهن والفيتامين، أو احتجاز السموم وقلبها إلى مواد غير ضارة، أو تحويل الفضلات مثل النشادر الناتج عن فضلات البروتين إلى مادة غير ضارة هي البولة، ويبقى الكبد مركز التموين الرئيسي لسكر الدم، وبروتينات الدم، والحفاظ على تخثره بتكوين

مولد الليفين، كما يقوم بإفراز الأصبغة، وتكوين الكولسترول ذي الشخصيات السبعة.

٢٣ـ تزن الكلية الواحدة ١٥٠غراماً، فيها مليون وحدة وظيفية لتصفية الدم تسمى (النفرونات) ويرد إلى الكلية في مدى ٢٤ ساعة ١٨٠٠ ليتر من الدم، ويتم رشح ١٨٠ ليتر منه ويعاد امتصاص معظمه ويطرح منه حوالي ١,٥ ليتر وهو المعروف بالبول. ويبلغ طول أنابيب النفرونات حوالي (٥٠) كيلومتراً، وبهذه الطريقة يتم تصفية الدم من كل شوائبه وبشكل مدهش، وكأننا نرى أمانة العاصمة وهي تنظف ليس مرة واحدة في اليوم بل ٣٦ مرة ويزيد، ولا تقف وظائف الكلية عند التصفية بل فيها جهاز منبه مصنع العظام (النقي) لتنظيم إفراز عناصر الدم، كما أن فيهاجهازاً منظماً لضغط الدم بالتعاون مع الكبد وهو ما يسمى (بالهايبرتنسين) وفوق الكلية تتربع غدة تزن سبعة غرامات وهي الكظر وتفرز من قشرها عشرات الهورمونات المنظمة للسكاكر والأملاح والماء في البدن ولإقرار شحنة الجنس، كما أن لب هذه الغدة يفرز مادة الإدرينالين المنظمة لتوتر الدم.

٢٤ـ يضخ القلب يومياً ٨٠٠٠ ليترة من الدم، داخل الجملة الدورانية التي تمتد حوالي (١٥٠) كيلومتر طولاً عبر كل أنسجة البدن، ناقلة الدم بما فيه من غذاء وأكسجين، ويكفي أن نعرف حيوية النقل عندما يتخرب الدماغ بشكل لا رجعة فيه عندما ينقطع ورود الأكسجين عنه لمدة خمس دقائق فقط.

٢٥ـ لا يمكن أن تتشابه بصمتان في العالم سواء ما مر من تاريخ وجود

الإنسان على الأرض، أو حالياً بتعداد البشرية الذي بلغ ٣٨٠٠ مليون إنسان، أو ما يتوقع للمستقبل من مجيء بشر جدد لعمارة الكون. إن هناك قانوناً حيوياً وهو أن الطبيعة (والتي خلقها الله) لا تكرر نفسها مطلقاً على مستوى النبات والحيوان أو الإنسان، ويعود السر إلى مئة ميزة للبصمة بحيث إن تفريعاتها تصل إلى حد إصابة الإنسان بالدوار عندما يتصور احتمال تطابق البصمتين، سواء بين إنسان وآخر، أو في الإنسان الواحد بين أصبع وأخرى من أصابعه العشر، كما لا يتم تطابق بصمات أصابع التومين، ولتقريب فكرة احتمال تطابق بصمتين فإن هناك فرصة واحدة من أصل سبتيلون مرة، وهذا الرقم يمكن تصوره إذا قام البشر الموجودون حالياً على وجه الأرض جميعاً بدون استثناء، بما فيهم الأطفال والنساء والمرضى، بوضع ثلاث جرات قلم في الثانية الواحدة على الورق والاستمرار في ذلك حوالي ثلاثة ملايين من السنة بدون نوم أو راحة أو تناول طعام، فإن هذا الزمن يمثل إمكانية تكرر هذه الفرصة الوحيدة!!!.

إن هذا الأمر العجيب جعل دول العالم اليوم تتبنى البصمات كعلم إثبات يقيني في تعيين شخصية الإنسان لما فيها من ثبات وفردية بدءاً من أول هذا القرن، يكفي أن نعلم أن بصمات مومياء مصرية أخذت وكأنها بنت اليوم وكذلك بصمات جثة في الدانمرك أرجعها الإخصائيون إلى ما يزيد على ٢٠٠٠ سنة، إن هذا يذكرنا بإعجاز القرآن العلمي ﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾.

[راجع كتاب الطب محراب الإيمان/ د. خالص جلبي]

آيات للتدبر والتفكر

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْءَاخِرَةِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ

أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

[سورة الروم]

مسافر يرثي نفسه

مالك بن الريب أحد المسافرين الذين استطاعوا أن يخلِّدوا ذكرهم علىٰ هذه الحياة الدنيا، وأن يسطِّروا مجدهم علىٰ صفحات التاريخ، وذلك حينما أتحف الدنيا بقصيدته الرائعة، ومرثيته الذائعة التي تطرب الإنسان، وتهز الوجدان، وقد لا نكون مبالغين إذا قلنا: إنها أعظم مرثية في الأدب العربي علىٰ الإطلاق، فتأمَّل هذه الرائعة لشاعر يرثي نفسه، ومسافرٍ يبكي حياته وقد بكىٰ وأبكىٰ.

مالك بن الريب شاعر إسلامي كان مسافراً للجهاد في سبيل الله في صحبة سعيد بن عثمان بن عفان، وحينما سار بجنده في طريق فارس، وأناخ الركب في بعض المنازل، نزل مالك للقيلولة، ولما هموا بالرَّحيل أراد أن يلبس خفه، فلسعته أفعىٰ كانت قد اندست فيه، فلما أحس بالموت أنشأ يرثي نفسه فقال:

ألاَ لَيْتَ شِعْرِي هلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً ... بِجَنبِ الغَضَا، أُزْجِي القِلاَص النَّوَاجيَا
فَلَيْتَ الغَضَا لَمْ يَقْطَعِ الرَّكْبُ عَرضَهُ ... وَلَيْتَ الغَضَا مَاشَى الركَابَ لَيَالِيَا
لَقَدْ كَانَ فِي أَهْلِ الغَضَا، لَوْ دَنَا الغَضَا ... مـزارٌ، وَلَكـنَّ الغَضَـا لَيْـسَ دَانِيَـا
أَلَمْ تَرَنِي بِعْتُ الضَّلاَلَة بِالهُدَىٰ ... وَأَصْبَحْتُ فِي جَيْشِ ابْنِ عَفَّان غَازِيا
دَعَانِي الهَوَىٰ مِنْ أَهْلِ وُدِّي وَصُحْبَتِي ... بِـذِي الطبَّسَيـن، فَـالتَفَـتُّ وَرَائِيَـا
أَجَبْتُ الهَوَىٰ لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ ... تَقَنَّعْـتُ مِنْهَـا ـ أَنْ أُلاَمَ ـ رِدَائِيَـا
لَعَمْرِي لَئِنْ غَالَتْ خُرَاسَانُ هَامَتِي ... لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابَيْ خُرَاسَانَ نَائِيَا
فللـه درِّي يَـوْمَ أَتْـرُكُ طَـائِعًـا ... بَنـيّ بِـأَعْلَـىٰ الـرَّقْمَتَيْـنِ، وَمَـالِيَـا

وَدَرُّ الظِّبَاءِ السَّانحاتِ عَشِيَّةً ... يُخَبِّرنَ أَنِّي هَالِكٌ مِنْ وَرَائِيَا
وَدَرُّ كبِيرَيَّ اللَّذيْن كِلاَهُمَا ... عَلَيَّ شَفِيقٌ، نَاصِحٌ، قَدْ نَهَانِيَا
وَدَرُّالهَوَىٰ مِنْ حَيْثُ يَدْعُو صِحَابَهُ ... وَدَرُّ لَجَاجَاتِي، وَدَرُّ انْتِهَائِيَا
تَذَكَرْتُ مَنْ يَبْكِي عَلَيَّ، فَلَمْ أَجِدْ ... سِوَىٰ السَيْفِ وَالرّمحِ الرُّدَيْنِيّ بَاكِيَا
وَأَشْقَرَ خِنْذِيذٍ[1] يَجُرّ عِنَانَهُ ... إِلَىٰ المَاءِ، لَمْ يَتْرُكْ لَهُ الدَّهْرُ سَاقِيَا
وَلَكِنْ بِأَطْرَافِ السمينَةِ نِسْوَةٌ ... عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ، العَشِيَّةَ، مَا بِيَا
ولَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنِيَّتِي ... وَحُلَّ بِهَا جِسْمِي، وَحَانَتْ وَفَاتِيَا
أَقُولُ لأَصْحَابِي ارْفَعُونِي لأَنَّنِي ... يَقِرّ بِعَيْنِي أَنْ سُهَيْلٌ بَدَا لِيَا
فَيَا صَاحِبَيَّ رَحْلِي! دَنَا المَوْتُ، فَانْزِلاَ ... بِرَابِيَةٍ، إِنِّي مُقِيمٌ لَيَالِيَا
أَقِيمَا عَلَيَّ اليَوْمَ، أَوْ بَعْضَ لَيْلَةٍ ... وَلاَ تُعْجِلاَنِي قَدْ تَبَيَّنَ مَابِيَا
وَقُوما، إِذَا مَا اسْتُلَّ رُوحِي، فَهَيِّئَا ... لِيَ القَبْرَ وَالأَكْفَانَ، ثُمَّ ابْكِيَا لِيَا
وَخُطَّا بِأَطْرَافِ الأَسِنَّةِ مَضْجَعِي ... وَرُدَّا عَلَىٰ عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدَائِيَا
وَلاَ تَحْسُدَانِي، بارَكَ الله فِيكُمَا ... مِنَ الأَرْضِ ذَاتِ العَرْضِ أَنْ توسِعَا لِيَا
خُذَانِي، فَجُرَّانِي بِبُرْدِي إِلَيْكُمَا ... فَقَدْ كُنْتُ، قَبْلَ اليَوْمِ، صَعْبًا قِيَادِيَا
فَقَدْ كُنْتُ عَطَّافًا، إِذا الخَيْلُ أَدْبَرَتْ ... سَرِيعًا لَدَىٰ الهَيْجَا، إِلَىٰ مَنْ دَعَانِيَا
وَقَدْ كُنْتُ صَبَّارًا عَلَىٰ القِرْنِ فِي الوَغَىٰ ... ثَقِيْلاً عَلَىٰ الأَعْدَاءِ، عَضْبًا لِسَانِيَا
وَطَوْرًا تَرَانِي فِي ظِلاَلٍ وَمَجْمَعٍ ... وَطَوْرًا تَرَانِي فِي رَحَىً مُسْتَدِيرَةٍ
وَطَوْرًا تَرَانِي فِي رَحَىً مُسْتَدِيرَةٍ ... تُخَرِّقُ أَطْرَافُ الرِّمَاحِ ثِيَابِيَا
وَقُوما عَلَىٰ بِئْرِ الشُّبَيْكِ، فَأَسمِعَا ... بِهَا الوَحْشَ وَالبِيْضَ الحِسَانَ الرَوَانِيَا
بِأَنَّكُمَا خَلَّفْتُمَانِي بِقَفْرَةٍ ... تُهِيلُ عَلَيَّ الرِيحُ فِيهَا السوافيا

---

(١) الخنذيذ: الجواد الكريم الأصيل.

وَلاَ تَنْسَيَا عَهْدِي - خَلِيلِيّ - إِنَّنِي ... تَقَطَّعُ أَوْصَالِي، وَتَبْلَى عِظَامِيَا
فَلَنْ يَعْدَمَ الوِلْدَانِ بَيْتًا يُجنُّنِي ... وَلَنْ يَعْدَم المِيرَاثَ مِنّي المَوَالِيَا
يَقُولُونَ: لاَ تَبْعُدْ، وَهُمْ يَدْفِنُونَنِي ... وَأَيْنَ مَكَانُ البُعْدِ إِلاَّ مَكَانِيَا
غَدَاةَ غَدٍ، يَا لَهْفَ نَفْسِي علَىٰ غَدٍ ... إِذَا أَدْلَجُوا عَنِّي، وَخُلِّفتُ ثَاوِيا
وَأَصْبَحَ مَالِي مِنْ طَرِيفٍ وَتَالِدٍ ... لِغَيْرِي، وَكَان المَالُ بِالأَمْسِ مَالِيَا
فَيَا لَيْتَ شِعْرِي، هَلْ تَغَيَّرتِ الرَّحى ... رَحَى الحَرْب، أَوْ أَضْحت بفَلَج كما هِيَا
إِذَا القَوْمُ حلّوها جميعاً، وَأَنْزَلُوا ... لَهَا بَقَراً حُمَّ العُيُونِ، سَوَاجِيا
وَعِيْنٍ وَقَدْ كَانَ الظلاَمُ يُجِنّهَا، ... يسُفْنَ[1] الخُزامى نَورَهَا وَالأقاحيا
وَهَلْ تَرَكَ العيسُ المَرَاقِيلُ بِالضّحى ... تَعَالِيَهَا تَعلو المُتُونَ القَيَاقيا
إِذَا عُصَبَ[2] الرُّكْبَانُ بَينَ عُنَيْزَةٍ ... وبُولانَ، عَاجُوا المُنقيَاتِ[3] المَهَارِيَا[4]
وَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ بَكَتْ أُمُّ مَالِكٍ، ... كَمَا كُنْتُ لَوْ عَالَوا نعِيَّكَ بَاكِيَا
إِذَا مُتُّ فَاعْتَادِي القُبُورَ، وسَلّمي ... علَى الرَّيمِ[5]، أُسقِيتِ الغَمَامَ الغَوادِيَا
تَرَيْ جَدَثًا قَدْ جَرَّتِ الرّيحُ فَوْقَهُ ... غُبَارًا كَلَوْنِ القسطلاني[6] هَابِيَا[7]
رَهِينَة أَحْجَارٍ وَتُرْبٍ تَضَمَّنَتْ ... قَرَارَتُهَا مِنّي العِظَامَ البَوَالِيَا
فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضتَ فَبَلِّغَنْ ... بَنِي مَالِكٍ وَالرَّيْبِ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا

---

(١) يسُفْنَ: يشممن.
(٢) عصب: اجتمع.
(٣) المنقيات: النياق السمينة.
(٤) المهاري: الواحدة مهرية: إبلٌ منسوبة إلىٰ مهرة بن حيدان من عرب اليمن.
(٥) الرَّيم: القبر.
(٦) القسطلاني: حمرة الشفق.
(٧) هابيا: منتشرًا في الجو.

وَبَلِّغ أَخِي عِمْرَان بُرْدِي وَمِئْزَرِي؛ وبَلِّغ عَجُوزِي اليَوْمَ أَنْ لاَ تَدَانِيَا
وَسَلِّم عَلىٰ شَيْخَيَّ مِنِّي كِلَيْهِمَا، وَبَلِّغْ كَثِيرًا وَابْنَ عَمِّي وَخَالِيَا
وَعَطِّل قَلُوصِي فِي الرِّكَاب، فَإِنَّهَا سَتُبْرِدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيَا
أُقلِّبُ طَرْفي فَوْقَ رَحْلِي، فَلاَ أَرَى بِهِ مِنْ عُيُونِ المُؤنِسَاتِ مَرَاعِيَا
وبالرَّمل منّي نِسْوَةٌ لَو شَهِدْنَنِي، بَكَيْنَ وَفَدَّيْنَ الطَّبِيبَ المُدَاوِيَا
فَمِنْهُنَّ أُمِّي، وَابْنَتَاهَا، وَخَالَتِي، وَبَاكِيَةٌ أُخْرَىٰ تُهِيجُ البَوَاكِيَا
وَمَا كَانَ عَهْدُ الرَّمْلِ مِنِّي وَأَهله ذَمِيماً، ولاَ بِالرَّمْلِ وَدّعتُ قَالِيَا

* * *